Bible Study

The First Epistle of St. Paul to the Thessalonians

رسالة معلمنا بولس الرسول الأولي إلي أهل تسالونيكي

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الرسالة الأولي إلى أهل تسالونيكي

الاصحاح الرابع: حياة القداسة والاختطاف

"فمن ثم أيها الإخوة نسألكم ونطلب إليكم في الرب يسوع، كما تسلمتم منا، كيف يجب أن تسلكوا وترضوا الله تزدادون أكثر، لأنكم تعلمون أية وصايا أعطيناكم بالرب يسوع" [1 - 2]

- يبرز القديس بولس في هذه الآيات مفهوم الحياة الفاضلة أنها ليست أخلاقيات اجتماعية مجردة وسلوكًا أدبيًا يتدرب عليه الإنسان بقدراته الخاصة وجهاده الذاتي، وإنما أولاً وقبل كل شيء هي تفاعل حيّ مع الوصية الإلهية في السيد المسيح. لهذا يقول القديس بولس: **"نسألكم ونطلب إليكم في الرب يسوع"**، أي نوصيكم فيه، **في الرب يسوع**، وليس من فكري الخاص، وإلا كانت وصايا بشرية قد تكون براقة وجميلة لكنها عاجزة عن العمل في أعماق القلب.
- وذلك لأن وصية وكلمة الله هي: **"حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ** (أي النخاع marrow)، **ومميزة أفكار القلب ونياته" (عبرانيين 4: 12).**

- إن كانت الحياة الفاضلة هي قبول الوصية الإلهية في الرب يسوع لتعمل فينا، فإننا نتقبلها خلال التسليم، إذ يقول: **"كما تسلمتم منا كيف يجب أن تسلكوا وترضوا الله" [1]**. فالسلوك المسيحي هو جزء لا يتجزأ من التسليم الرسولي.
- إنه مرتبط بالإيمان المسيحي أو إنجيل الرب يسوع الذي تقبلته الكنيسة من السيد المسيح خلال تلاميذه كتسليمٍ حيّ يعيشه المؤمنون ويُسلم خلالهم عبر الأجيال. هكذا بالتسليم، في مفهومه الأصيل الروحي، نتقبل الإنجيل الحيّ، لا كأفكارٍ عقائديةٍ مجردة، وإنما بالحري حياة إيمانية عملية معاشة في القلب في الداخل، ومُعلنة خلال العبادة الجماعية والعائلية والشخصية، وفي السلوك العائلي ومع الإخوة والغرباء.
- غاية الحياة الفاضلة هي: **"يجب أن تسلكوا وترضوا الله"**. لم يكن ممكنًا إرضاء الله بعد أن فقد الإنسان صورة الله وتشوَّه المثال الذي له فيه.
- قوله: **"تزدادون أكثر"**، تعني أن الحياة الفاضلة الحقيقية لا تقف عند حدود، إذ لا يستريح المؤمن حتى يصل إلى **"قياس قامة ملء المسيح" (أفسس 4: 13)**، يحمل سماته واضحة ونامية فيه بلا انقطاع، حيث يتجلى السيد المسيح نفسه فيه من يومٍ إلى يوم، ليدخل به إلى عظمة بهائه.

"لأن هذه هي إرادة الله قداستكم أن تمتنعوا عن الزنا" [3]
- يتطلع الله إلى البشرية بعد سقوطها فلا يشتم فيها رائحة رضا بل يجد **"الكل قد زاغوا معًا، فسدوا، ليس من يعمل صلاحًا ولا واحد" (مزمور 14: 3)**. لذلك فإن الحياة الفاضلة المرضية لدى الله: **"هي قداستكم"**. ويعلق القديس يوحنا الذهبي الفم هكذا: [لاحظ كيف أنه لا يتطلع إلى أي موضع بحماسٍ كهذا. فإنه يكتب عنه في موضع آخر: **"اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب" (عبرانيين 12: 14)**. لماذا نتعجب إن كان يكتب لتلاميذه عن هذا الأمر في كل موضع، ففي رسالته إلى تيموثاوس يقول: **"احفظ نفسك طاهرًا" (1 تيموثاوس 5: 22)**، وفي رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس يقول: **"في صبر كثير... في أصوام... في طهارة" (2 كورنثوس 6: 4 - 6)**.]
- ماذا يعني القديس بولس بالقداسة التي يريدها الله فينا؟ إنها اعتزال ما قد دخل إلى طبيعتنا كأمرٍ غريبٍ، وقبول ما هو لله. بمعنى أن القداسة إنما تحمل عمليتين متلازمتين ومتكاملتين: تفريغ وامتلاء، تفريغ عن الشر الذي تسرب إلى طبيعتنا خلال اعتزالنا الله، وامتلاء من الله نفسه القدوس كسرّ حياتنا.

"أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة، لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله" [4 - 5]

- فإن كان الله هو القدوس، فإن حياتنا الفاضلة هي أن تتحقق إرادته المقدسة فينا، فنحمل قداسته داخلنا، ونكون قديسين فيه، **"أما تعلمون أنكم هيكل الله و روح الله يسكن فيكم. ان كان احد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لان هيكل الله مقدس الذي انتم هو" (1 كورنثوس 3: 16 - 17).**
- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [تنقسم الفضيلة إلى أمرين: ترك الشر وصنع الخير. فإن التخلي عن الشر لا يكفي لبلوغ الفضيلة، إنما يُحسب هذا مجرد ممر وبداية تقود إلى ما بعدها، فإننا في حاجة إلى نشاطٍ عظيمٍ.]
- فالأممي لا يقدر أن يترك هوى الشهوة، لأنه لا يعرف الله، أي لا يعرف اقتناء الله والاتحاد معه. إن عرفه إنما خلال معرفة الفكر النظري والفلسفة الذهنية، لذا يبقى في فراغه لا يقدر أن يتخلى عن الشهوات والملذات لعلها تقدر أن تشبع حياته.
- ولكن خلال الاتحاد مع الله في ابنه القدوس لا يشعر المؤمن بعطش إلى مثل هذه الملذات الزمنية، فإن ما يناله في الحياة الجديدة أفضل مما يتركه.

"أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر، لأن الرب منتقم لهذه كلها كما قلنا لكم قبلاً وشهدنا. لأن الله لم يدعنا للنجاسة بل في القداسة" [6 - 7]

- الحب في جوهره بذل وعطاء وتكريم، أما الشهوة فأخذ واغتصاب وامتهان للغير. الحب انفتاح القلب للعطاء بلا تمييز للشكل والمظهر، به يحترم الإنسان الطرف الآخر في إنسانيته، ويقدر فكره ومواعيده وحياته.
- الدعوة للقداسة والامتناع عن النجاسة دعوة إلهية وليست اجتماعية، إذ يقول: **"لأن الله لم يدعنا للنجاسة بل في القداسة".**
- وكأن السلوك بالقداسة هو تحقيق لإرادة الله فينا، والنجاسة هي طمع في الغير وليس حبًا، هو انغلاق النفس من أجل إشباع الإنسان هواه الخاص. وهذا تعدي على الله نفسه قبل أن يكون تعدي على أجسادنا وطمع وتطاول على إخوتنا.
- لذلك يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إنه بنفسه (الله) قد دعاك، وها أنت تهين من دعاك.]

"وإنما من يرذل لا يرذل إنسانًا، بل الله الذي أعطانا أيضًا روحه القدوس" [8]

- الله يهب روحه القدوس لتقديس الإنسان، فمن يرتكب النجاسة يهين الروح الساكن فيه وفي اخوته، أي أنه يخطئ في حق الله نفسه، **"أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (1 كورنثوس 6: 19 - 20)**

- لم يبخل الله علينا بشيء حتى وهبنا روحه القدوس، في سرّ الميرون، ليعمل فينا، مقدسًا إيانا، ومهيئًا حياتنا للمملكة السماوية.

- وبهذا نُحسب ملوكًا خلال اتحادنا مع الله في السيد المسيح ملك الملوك (رؤيا 17: 14)، وقديسين بثبوتنا في قدوس القديسين.

- لهذا إن كل خطية نرتكبها وإن ظننا أنها لا تسيء إلى أحدٍ، فهي تهين ذاك الذي رفعنا إلى هذه الكرامة لنكون قديسين وملوكًا.

- فالملك الذي يلبس الأرجوان ويحمل تاجًا على رأسه ويمسك صولجانًا إن ارتكب حماقة يهين كرامة المركز الذي وُجد فيه!

"وأما المحبة الأخوية فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها، لأنكم أنفسكم متعلمون من الله أن يحب بعضكم بعضًا" [9]

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يتكلم القديس بولس عن المحبة الأخوية، من قِبَل حكمته العظيمة وتعاليمه الروحية. فإنه بهذا أظهر أمرين، أولاً: أن الأمر ضروري جدًا حتى أنه لا حاجة للتعليم عنه، فإن الأمور الهامة جدًا واضحة أمام الجميع. وثانيًا: بقوله هذا يجعلهم أكثر خجلاً مما لو قدم لهم نصيحة. فإنه إذ يحسبهم أنهم سالكون باستقامة، بهذا يقودهم إلى الاستقامة أكثر مما لو قدم لهم النصيحة، حتى وإن كانوا هم ليسوا كما يظن هو.]

- كما أراد أيضاً أن يكشف لهم أنهم بالفعل يمارسون الحب، فلا حاجة له أن يكتب إليهم عنه. وإنما إن كتب يطلب نموهم بالأكثر في محبتهم التي يعيشونها. بهذا يشجعهم حتى لا يشعروا بصغر نفس، بل يدفعهم إلى النمو في الحب دون توقف عند حدود معينة.

- فنحن **"متعلمون من الله أن يحب بعضنا بعضًا"** ليس فقط خلال الوصايا الإلهية الخاصة بالحب، ولا خلال الامتثال بالله محب البشر، وإنما بالأكثر خلال عمله فينا، إذ يعطينا طبيعة الحب العاملة فينا.

"فإنكم تفعلون ذلك أيضاً لجميع الإخوة الذين في مكدونية كلها وإنما أطلب اليكم أيها الإخوة ان تزدادوا أكثر. وأن تحرصوا على أن تكونوا هادئين، وتمارسوا أموركم الخاصة، وتشتغلوا بأيديكم أنتم كما أوصيناكم. لكي تسلكوا بلياقة عند الذين هم من خارج، ولا تكون لكم حاجة إلى أحد" [10 - 12]

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يظهر القديس بولس كم من الشرور تسببها البطالة، وكم من المنافع يحققها العمل، فالعمل هو علامة الحب للإخوة، به لا نأخذ منهم وإنما نساعدهم... إذ قيل: "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" (أعمال 20: 35).]

- وقد استخدم القديس يوحنا كاسيان هذه الآيات في حديثه عن الضجر بالنسبة للرهبان قائلاً: [القول: "أن تحرصوا أن تكونوا هادئين"، تعنى أن تقيموا في قلايتكم ولا ترتبكوا بالشائعات التي تنبعث عادة عن الكسالى وعن ثرثرتهم، فيقلقون ويسببون للآخرين قلقًا.]

- وكأن البطالة تسبب فراغًا في النفس كما في الفكر فيرتبك الإنسان بأمور تافهة، ويفقد سلامه لسبب أو لآخر، بل ويدفع الآخرين إلى فقد سلامهم، فالعمل نافع لهدوئنا الداخلي وهدوء الآخرين.

- ويفسر القديس يوحنا كاسيان قول القديس بولس "تمارسوا أموركم الخاصة" قائلاً: [لا تكونوا فضوليين تستطلعون شئون الغير أو تفحصون حياتهم، فتبددون طاقتكم لا في نمو حياتكم والتمتع بالفضيلة وإنما في الانتقاص من قدر إخوتكم.]

- فالإنسان العاطل يحاول أن يملأ فراغ قلبه الداخلي لا بالاهتمام فيما يبني نفسه، أي بأموره الخاصة، وإنما يشغل ذهنه بتصرفات الغير لإدانتهم في الفكر إن لم يكن بالكلام أيضًا، والتحقير من شأن الآخرين.

- قوله "وتشتغلوا كما أوصيناكم"، وكأنه سبق فأوصاهم بالعمل في الفترة القصيرة التي كرز فيها القديس بولس بينهم حتى لا يسبب لهم الفراغ قلقًا أو يسحب قلبهم إلى تصرفات الغير خلال حب الاستطلاع وإدانتهم.

- هذه العبارة تكشف عن جانب هام في كرازته، إنه وهو يتحدث عن الإنجيل كعصب الإيمان المسيحي وسر حياة المؤمنين، إذا به يوصي بالأمور العملية في دقةٍ وتفصيلٍ، حيث يوجههم هنا للعمل اليدوي كجزء لا يتجزأ من بنيان حياتهم الروحية، فالإنجيل غير منفصل عن الحياة اليومية، والإيمان يمس حياتنا الروحية كما يمس حياتنا النفسية والاجتماعية والجسدية.

"ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم" [13]

- بعدما حدثهم عن الثبوت في الحياة الفاضلة في الرب، وجه أنظارهم إلى القيامة من الأموات ومجيء الرب الأخير ليبعث فيهم روح الرجاء في جهادهم الروحي ولتثبيتهم إلى النهاية أثناء الضيق.

- إنه يدعو الأموات بالراقدين، لأن نفوسهم قد تمتعت بالقيامة من الأموات خلال دفنهم مع السيد المسيح في المعمودية، فلا سلطان للموت عليها. إن أجساد الراقدين في حالة رقادٍ أو نومٍ مؤقت إلى يوم الرب العظيم، حيث تستيقظ الأجساد لتتمتع بالمجد. فتشارك النفس إكليلها ويحيا الإنسان في أمجاد الحياة الأبدية. إن كان الموت راحة ورقادًا، فإن القيامة هي الحياة. وما دام الموت رقادًا فإنه يليق بنا ألا نحزن بلا رجاء من جهة الراقدين كمن هم بلا إيمان. لقد بكى السيد المسيح عندما خرت مريم عند قدميه قائلة: **"يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي... بكى يسوع. فقال اليهود: أنظروا كيف كان يحبه" (يوحنا 11: 32 - 36)**. لقد قدس الرب ببكائه مشاعرنا البشرية، فنشارك المتألمين آلامهم، ونشعر بالشوق نحو أحبائنا الراقدين، لكن في رجاء حيّ أننا نلتقي معهم.

"لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضًا معه" [14]

- يسمي القديس بولس الأموات **بالراقدين بيسوع**، أي أنهم يحملون السيد المسيح في داخلهم، لهذا لا يقوى الموت عليهم. في داخلهم **"القيامة" (يو 11: 25)** ذاته وإن ماتوا حسب الجسد لكنهم يقومون بالسيد المسيح الساكن فيهم، القيامة ليست بغريبةٍ عنهم ولا بعيدة وإنما في داخلهم، عاملة في أجسادهم كما في نفوسهم. وفي قوله **"سيحضرهم الله أيضًا معه"**، يعلن القديس بولس عن قيامة الراقدين وأن سرّ مجدهم وكرامتهم أنهم سيكونون معه، وهو يكون معهم وفي وسطهم. لقد سمع القديس يوحنا الحبيب صوتًا من السماء يصف الحياة الأبدية، قائلاً: **"هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعبًا، والله نفسه يكون معهم إلهًا لهم" (رؤيا 21: 3)**.

- وفي حديث يوجهه القديس يوحنا الذهبي الفم لمن مات ابنه، يقول: [حينما تطلب ابنك، ابحث عنه حيث يوجد الملك، وحيث يوجد جيش الملائكة. لا تطلبه في القبر على الأرض، لئلا بينما يكون هو مرتفعًا في الأعالي تبقى أنت زاحفًا على الأرض.]

- يقول القديس كبريانوس: [يقول الرسول (عن غير المؤمنين) أنهم يحزنون على رحيل أصدقائهم بلا رجاء، أما نحن فنعيش في رجاء، ونؤمن بالله ونثق أننا نسكن في السيد المسيح الذي تألم عنا وقام، ونقوم به وفيه، فلماذا لا نريد الرحيل من هذه الحياة، بل ننتحب ونحزن على أصدقائنا عند رحيلهم كما لو كانوا مفقودين، بينما السيد المسيح نفسه ربنا وإلهنا يشجعنا قائلاً: **"أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حيًا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" (يوحنا 11: 25)**. إن كنا نؤمن بالسيد المسيح فلنؤمن بكلماته ومواعيده أننا لن نموت إلى الأبد. لنأتِ إليه بثقة أكيدة وفرح هذا الذي به نغلب ونملك إلى الأبد.]

- يقول القديس أمبروسيوس: [ليس كل بكاء ينبع عن عدم إيمان أو ضعف. فالحزن الطبيعي شيء، وحزن عدم الثقة شيء آخر. هناك فارق كبير بين الاشتياق إلى ما فقدناه والنحيب (بيأس) على ما فقدناه. هذا ويلاحظ أنه ليس الحزن فقط يسبب دموعًا وإنما للفرح أيضًا دموعه.]

- وكتب القديس باسيليوس الكبير إلى كنيسة بارنوسيوس شمال كبادوكية مؤكدًا لهم أن القديس بولس لم ينزع عنا بكلماته هذه مشاعرنا نحو الراقدين، إنما يحذرنا من الاستسلام للحزن، إذ يقول: [لست أعني بهذا أننا نكون بلا إحساس نحو الخسارة التي لحقت بنا وإنما ألا نستسلم لحزننا.]

"فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب، أننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين، لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعًا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام" [15 - 18]

- يتساءل القديس يوحنا الذهبي الفم: [إن كان (السيد) نازلاً، فلماذا نختطف نحن إلى فوق (في السحب)؟ من أجل الكرامة! فإنه عندما يدخل ملك مدينة ما يخرج إليه أصحاب الكرامة لملاقاته، أما المدانون فيبقون في الداخل ينتظرون القاضي. عند مجيء أب حنون يأخذ أولاده الحقيقيين ومن هم مستحقون أن يكونوا كأولاد في مركبة ليخرجوا وينظروه ويقبلونه.

- أما الخدم المخطئون فيبقون في الداخل، هكذا نُحمل نحن في مركبة أبينا (السحب): فقد أُخذ هو في السحابة (أعمال 1: 9) ونحن أيضًا نختطف في السحب. أنظروا أية كرامة هذه! إنه ينزل إلينا فنصعد نحن لملاقاته! ما أعظمها غبطة أن نكون نحن معه!]

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [قوله: **"نحن الأحياء الباقين"** لا يقصد بها الرسول نفسه والجيل المعاصر له، وإنما قصد المؤمنين الذين يبقون حتى يوم مجيئه. أما قوله **"نحن"** فعلامة الوحدة في الكنيسة، ما يتحقق مع أولاده الذين يكونون أحياء في ذلك الحين يحسبه القديس بولس كأنه يتحقق معه.]

- يرى القديس اغريغوريوس أسقف نيصص أن اختطاف المؤمنين على السحاب لكي يلتقوا بالسيد المسيح القادم إليهم ويكونوا معه إلى الأبد، إنما هو علامة التغيير الذي يتم في أجسادنا، فتتحول من الفساد الذي كان يمثل ثقلاً يجتذبها إلى الأرض إلى عدم الفساد، فترتفع خفيفة منطلقة إلى السحب لملاقاة الرب. إنه يقول: [عندما يُسمع بوق القيامة، الذي يبوقه رئيس الملائكة الجليل سوريال، يقوم الأموات، ويتحول الذين هم أحياء إلى شكل الذين تمتعوا بالتغيير الخاص بالقيامة أي إلى عدم الفساد، فلا يعود يكون وزن الجسد ثقيلاً ينزل بهم إلى الأرض، إنما يرتفعون إلى أعلى في الهواء كقول الرسول].

- ويقول القديس أغسطينوس: [إننا سنكون ليس بلا أجساد عندما نُوجد مع الرب على الدوام، لكن إذ تكون الأجساد غير قابلة للفساد فإنها لا تثقل على نفوسنا. إن تطلعنا بدقة فإننا نجد نفوسنا لا تلتصق بالأجساد بل الأجساد تلتصق بنفوسنا ونحن نلتصق بالله.]